مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي
ISSN 1112-9255/E-ISSN 2588-2414
المجلد 11 العدد 01 – جوان 2024
OEB Univ. Publish. Co.

حوارية الحب في ديوان " سرير الغريبة " للشاعر محمود درويش

Dialogues of Love in Mahmoud Darwish's "Sarir al-Gharibah (The Bed of the Stranger)" Collection

معاذ اشتية [1*]

moath.shtiah@pass.ps

[1] جامعة ام البواقي ، moath.shtiah@pass.ps

تاريخ التسليم: 2024/1/13 تاريخ التقييم: 2024/03/19 تاريخ القبول:2024/06/30

الملخص

يعد ديوان سرير الغريبة للشاعر محمود درويش واحدا من المجموعات الشعرية التي تنتمي إلى المرحلة الأخيرة من مسيرته الشعرية التي تمتد بين عامي (1995– 2009م) ؛ وهي بحسب بعض النقاد والدارسين تمثل مرحلة النضج الشعري بما شهدته من تحولات على مستوى البناء الشعري شكلا ومضمونا ، وقد بدا درويش في هذه المرحلة أكثر ارتدادا إلى ذاته ، وأكثر استماعا إلى حاجاتها الإنسانية ، وتناول قضايا ذات صلة بالوجود الإنساني ؛ حيث تأمل ذاته ، وتأمل الطبيعة ، والحياة والموت ، وعبر عن مشاعر الحب بوصفه متطلبا إنسانيا ،وتناول يومياته ، وأخذ ينظّر لمشروعه الشعري .

وهكذا ، فإن ديوان (سرير الغريبة)الصادر بطبعته الأولى عن دار رياض الريس بطبعته الأولى سنة 1999م ، يعد تحولا لافتا في مسيرة درويش الشعرية ؛ فهو ديوان ذو أبعاد ذاتية ، وهو ديوان الحب ، بمعانيه السامية .

والباحث في العنوان " سرير الغريبة " يجد أنه يكاد يصلح لكل القصائد ؛ والغريبة هي امرأة التقى بها الشاعر في منفاه وغربته ؛ ووقع في حبها كما بادلته الحب ؛ فتحدث بلسانه ولسانها ، وقد وجد أن بينهما قواسم مشتركة ؛ فماضيهما واحد وحاضرهما واحد ؛ والغربة والاغتراب نصيبهما المفروض .

وهكذا ، تأتي هذه القراءة في ديوان " سريرة الغريبة " للبحث في حوارية الحب التي يقوم عليها الديوان ؛ علما أن علاقة الحب في الديوان المذكور لم تتكئ على منظور أحادي ، ولم تصدر من عاشق نرجسي ؛ وقد جاء الصوت الشعري يقوم في تشكيله على عملية تبادل الأدوار بين طرفي العلاقة ،مثلما يقوم على تحول مستويات هذا الصوت وتوزعه بين العاشقين ، وبين الماضي والحاضر ، وبين الأسطورة والواقع .

Abstract

Abstract

Summary: Mahmoud Darwish's collection "Sarir al-Gharibah (The Bed of the Stranger)" is considered one of his poetic works belonging to the later stage of his poetic journey, spanning from 1995 to 2009. According to some critics and scholars, this collection represents a phase of poetic maturity marked by significant transformations in both form and content. Darwish appeared more introspective during this phase, attuned to his own needs and humanistic concerns, addressing existential themes such as self-reflection, nature, life, death, and expressing feelings of love as a fundamental human requirement. He also delved into his daily experiences and contemplated his poetic project.

The collection "The Bed of the Stranger," first published by Riad El Rayyes Publishing House in 1999, marks a notable shift in Darwish's poetic trajectory. It is a collection with personal dimensions, focusing on the theme of love in its noblest sense.

The title "The Bed of the Stranger" is apt for all the poems within the collection. The "stranger" refers to a woman whom the poet encountered during his exile and estrangement. He fell in love with her, and she reciprocated his feelings. They communicated through their words, finding common ground between them. Their past and present were intertwined, and they shared the experience of alienation and exile.

This reading of "The Bed of the Stranger" explores the dialogues of love that form the basis of the collection. The love depicted in the collection does not rely on a unilateral perspective or stem from a narcissistic lover. Instead, the poetic voice shapes itself through the exchange of roles between the lovers, shifting between past and present, myth and reality.

Keywords: Dialogues, Love, The Bed of the Stranger

*المؤلف المراسل: معاذ اشتية

مقدمة:

قراءة في عتبة الديوان :

أولا : العنوان

ينتمي ديوان " سرير الغريبة " إلى المرحلة الأخيرة من تجربة درويش الشعرية ، وهي المرحلة التي بدا فيها درويش أكثر نزوعا إلى الذاتية ؛ حيث أصبح أكثر وعيا والتفاتا إلى صوت الذات (إشتية ،2012،ص22) ؛ إذ بدا أكثر استماعا إلى صوته الداخلي بوصفه إنسانا تتفاعل في نفسه نزعات إنسانية من جهة ، وبوصفه صاحب مشروع شعري يريد أن يخلده عبر تسليطه الضوء على كثير من القضايا الوجودية مثل الحياة والحب والموت ؛ وقد عبر عن ذلك صراحة حين قال : " أنا شديد الانتباه لهذه المسألة ، وإلى الالتفات إلى صوت الذات ، صوت الأنا ، وليس بمعنى الأنا الضيقة ، فالأنا تحتوي في داخلها أكثر من أنا ، فهي تتشظى ، وعلى الشعر أن ينطلق في إصغاء دقيق للأنا في تفاعلها في الأنوات الأخرى "(العوني ، 2009) .

وقد امتدت التجربة الشعرية التي تمثلها هذه المرحلة منذ ديوانه " لماذا تركت الحصان وحيدا " الصادر بطبعته الأولى عن دار رياض الريس سنة 1995م ، حتى ديوانه الشعري الأخير الصادر بطبعته الأولى سنة 2009م عن الدار نفسها .أما ديوانه " سرير الغريبة " فقد صدر بطبعته الأولى عن دار رياض الريس سنة 1999م ؛ علما أن قصائده . بحسب ما ورد في افتتاحية الطبعة ـ قد كتبت بين عامي 1996.1997م .

والقارئ لديوان " سرير الغريبة " يستطيع أن يتلمس نزوع درويش إلى الذاتية التي تجعل منه ديوان حب بالمفهوم الحقيقي والمباشر للمرأة ؛ إذ لم تعد المرأة رمزا للأرض والوطن كما بدت في دواوينه في المراحل السابقة ، وعليه ؛ فقد ظهرت في هذا الديوان بصفاتها الأنثوية التي تبتعد بها عن الرمز والوطن ، وبصوتها الاعتراضي الذي يتلبسه درويش رافضة أن تكون رمزا أو شمسا ، وإنما تطالب بالنظر إليها من حيث حقيقتها الأنثوية المحسوسة (المهداوي ،2010، ص242) .

وهكذا، فإن على الدارس لهذا الديوان يجب أن يتحلل من فكرة أن أنثاه ذات دلالة رمزية ، وأن يدلف لدراسته من فكرة أن درويشا مثله مثل أي إنسان تتفاعل في نفسه مشاعر الحب ويترجمها ، بلغة شعرية،ذات مضمون يؤكد أنه لم تعد القضية الفلسطينية لازمة في أشعارة ، ولم يعد شعره حكرا عليها . (خميس ،1999،ع 493)

ويرى بعض الباحثين أن هذا الديوان ينماز على مستوى المضمون بوحدته التي تطرح موضوعا جديدا في تجربة درويش الشعرية ؛ حيث يربط هذا الديوان ما بين الحب وما بين الكشف عن الأنا والآخر الأنثى ، يحضران بشكل واضح في معظم القصائد ؛ حيث تأخذ الأنثى الحاضرة في الديوان شكل المرأة ، أو شكل " أنا " الأنثوي داخل الأنا (فحماوي ،2013،ص201).

أما عنوان الديوان فهو مكون من تركيب يقوم على الإضافة بين كلمتي (سرير) و(الغريبة) ؛ فقد أضاف كلمة سرير للغريبة ، وإن لفظ سرير في دلالته هو مكان للراحة والنوم والاستقرار ، وعلى الرغم من أن إضافة النكرة إلى المعرفة تزيدها وضوحا إلا أن إضافة (سرير) إلى الغريبة زادتها غموضا ، فالشاعر جمع بين متناقضين حين أسند الراحة إلى الغريبة ؛ والغربة في دلالتها العامة مكان يفتقر إلى الراحة ؛ لأنها بديل فرضته ظروف الحياة عن الوطن ؛ وهو بديل تفرضه ظروف خارجية تتصل بالاحتلال أو القمع أو داخلية تخص المغترب ذاته .

والقارئ لديوان "سرير الغريبة" لا يجد في ثنايا الديوان قصيدة تحمل عنوان الديوان ؛ لكنه بعد قراءته للديوان يستطيع أن يمنح هذا العنوان لغير قصيدة من القصائد ؛ حيث تظهر الغريبة لقبا لامرأة التقى بها الشاعر في غربته ووقع في حبها ، وبادلته الحب ؛ إذ تجمعهما صفات مشتركة ، فماضيهما واحد من حيث الظروف التي عاشاها ، وحاضرهما كذلك ، واللجوء إلى الحب هنا يأتي من باب المشاركة الوجدانية من جهة و البحث عن الاحتواء الذي يخفف من معاناة الغربة من جهة ثانية ، والبحث عن مصدر إلهام يغذي شعره من جهة ثالثة .يقول في قصيدة " شادنا ظبية توأمان " : (درويش ،2009، ص43،42)

لكنني - ونبيذي

يسافر مثلي - أقاسمك الغدَ والأمس

لولاك لولا الرذاذ الذي يتلألأ في نمش

الضوء ما بين نهديكِ ، لانحرفت لغتي

عن أنوثتها ، كم أنا والقصيدة أمك

وابناك ، نغفو على شادني ظبية

توأمين!

وهكذا ، بدا الشاعر وغريبته غريبين ، قدرهما أن يعيشا بعيدا عن وطنيهما ، وفي الغربة يجدان من الحب جسرا يجمع بينهما ؛ ليصبحا روحا واحدة في جسدين ، لكن هذا الحب الذي ألف بينهما يبدو مقيدا ، لا يمكن له أن يستقر أو يستمر ، لتصبح حكايتهما امتدادا لحكاية كل العشاق في التاريخ ؛ إذ يصطدم حبهما بواقع يحول بينهما وبين استمراره ؛ فيبقى الحب محكوما عليه بالفشل بعيدا عن الوطن ، وكأن الشاعر يريد أن يقول : إن المنافي تحرم الفلسطيني ومن هم مثله من أن يمارسوا دورهم الإنساني الطبيعي في وطنه ، وإن الحب في الغربة هو مظهر من البحث عن وطن ضائع ، يقول في قصيدة " وقوع الغريب على نفسه في الغريب " : (نفسه ،ص35)

واحد نحن في اثنين /

لا اسم لنا يا غريبة ، عند وقوع

الغريب على نفسه في الغريب . لنا من

حديقتنا خلفنا قوة الظل . فلتظهري

ما تشائين من أرض ليلك ، ولتبطئي

ما تشائين . جئنا على عجل من غروب

مكانين في زمن واحد ، وبحثنا معا

عن عناويننا : فاذهبي خلف ظلك ، ...

وفي قراءة لعناوين القصائد الواردة في الديوان يجد القارئ أن هناك ثلاث قصائد تحمل عناوين ذات صلة بغربة الشاعر وغربة محبوبته ، وفضاء الغربة المكاني الذي جمع بينهما ، وهي على النحو الآتي ؛ " وقوع الغريب على نفسه بالغريب "، " أرض الغريبة / أرض السكينة "،" طائران غريبان في ريشنا " .

ثانيا : صورة الغلاف

تشكل صورة الغلاف واجهة مهمة في التعبير عن ما تحتويه الكتب بصورة عامة ، والدواوين الشعرية بصورة خاصة ؛ من هنا ، فإن كثيرا من الدراسات النقدية والسيميائية توليه أهمية ، وتستنطقه من أجل الدخول إلى عمق النص ، والبحث في مكنوناته ؛ من هنا تبرز أهمية استنطاق صورة الغلاف في ديوان " سرير الغريبة " ؛ فالمتمعن في غلاف الديوان يجد أن مصممه محمد حمادة حاول عبر تصميمه أن يعبر عن فكرة الديوان ؛ إذ ، جاء العنوان يتوسط الجزء العلوي للصفحة التي جاءت بلونين ؛ اللون الأسود ، الذي يمثل الثلث العلوي من الصفحة ، واللون البني الذي يمثل ثلثي الصفحة من الجهة السفلية للغلاف ، وقد ظهر على أقصى اليمين من هذا الجزء صورة امرأة تكاد ترى ؛ إذ يختفي الجزء العلوي الذي يمثل الجبين والرأس وتظهر وهي في حالة تأمل ؛ في صورة تبدو فيها غارقة في التفكير ؛ وفي ذلك تعبير عن حالة القلق الذي تعيشه المرأة ، التي تبدو غريبة في هذا الفضاء الذي يحتويها .

حوارية الحب في ديوان " سرير الغريبة "

إن مصطلح "الحوارية " من المصطلحات الحديثة التي عرفت في الدراسات النقدية ، وتزامن ظهوره مع ميخائيل باختين ، وله أصول مشتركة مع الحوار ، وهو ما لم يخف على باختين حين وضعه للدلالة على العناصر المتباينة داخل الأثر الروائي ؛ إذ هو مأخوذ من جذر الحوار ، والحوارية هي علاقات تنتج عن تفاعل لغوي حي يعتمد على اللغة؛ (منيف ، 2014، ص 75) التي تتخذ الحوار الخارجي أو الداخلي وتعدد الأصوات في النص السردي أو في النص الشعري أسلوبا في التعبير. (محمد ،2022، ص139)

واعتمد درويش على تقنية الحوار ذي الطابع السردي في نسج بعض من قصائده الواردة في ديوان "سرير الغريبة " ؛ حيث يجد القارئ أن الشاعر راح يؤدي صوتين ؛ صوته ، وصوت محبوبته أو صوته وأصوات أخرى يستوحيها من أجل التعبير عن رؤيته ؛ فهناك حالات تتطلب من الشاعر أن يتحدث فيها مع نفسه ، وهذا الحديث قد يكون مجرد تفكير أو حديثا بالفعل ، لكنه موجه إلى الداخل ، ولكل من المتحاورين متطلباته النفسية ، (البارز ،2015، ص 1808) واعتمد درويش هذه التقنية؛ كي يعبر عن عاطفتين ، أو رؤيتين ، أو فلسفتين ، أو شعورين متقابلين حينا ، ومتبادلين حينا آخر ، ومتضادين حينا ثالثا ، وإن كان الجامع بينهما مشاعر الحب في فضاء الغربة الذي وجدا نفسيهما فيه.

واللافت أن الشاعر لم يقتصر على وصف مشاعر الحب على نهج الشعراء الكلاسيكيين في قصائد الحب النمطية ، إنما اتجه إلى أبعد من ذلك ، حيث راح يبث فلسفته تجاه الحب على لسانه تارة ولسان المرأة المحبوبة تارة أخرى ، ووقف على ما يحيط بالحب من ظروف ؛ وأخذت فلسفته تنطلق من مبدأ يقوم على تساؤلات أبرزها : هل يمكن أن ينتصر الحب على الماضي المتصل بذكريات الوطن؟ وهل يمكن أن يصبح الرجل الغريب بديلا عن وطن المرأة الغريبة ؟ أو تصبح المرأة بديلا عن وطن الغريب في المنفى ؟

وهكذا ، يمكن للباحث أن يحدد فلسفة الشاعر تجاه الحب عبر استنطاق القصائد والحوارات التي تضمنتها ، فالحب في قصيدة " **كان ينقصنا حاضر** " لا بد أن يتغذى على حاضر ، ينسي العاشقين أوجاع الماضي ، ويتجاوز الإحساس بشعور الغربة والاغتراب في المنفى ، يقول درويش مخاطبا معشوقته : (درويش ،2009،ص12)

عما قليل يكون لنا حاضرٌ آخرٌ

إن نظرتِ وراءك لن تبصري غير منفى وراءك : غرفة نومك ،

صفصافة الساحة ،

النهر خلف مباني الزجاج ،

ومقهى مواعيدنا ... كلّها ، كلّها

تستعد لتصبحَ منفًى ، إذاً

فلنكن طيبين.

وإنّ الحب وإن بدا أسطوريا يتحد فيه العاشقان في الغربة ؛ لا يمكن أن يطغى على حقيقة الشعور بالاغتراب ، فقد ظل الوطن يتجاذب محبوبته التي ظلت موزعة بين هويتها الشرقية ومنفاها الغربي ، وظلت تعاني الانشطار ، وهكذا فإن الإحساس بالحرية داخل الوطن يمنح الحب معناه الحقيقي ، فلا حب بلا وطن ولا وطن بلا حب، وهنا ، يتناص الشاعر مع الآية القرآنية (زيتونة لا شرقية ولا غربية) ؛ على لسان محبوبته ، للتأكيد على جوانب القرب التي تجمعها به وجسر المسافة في الحب ، (سورة النور ، الآية 35) يقول درويش على لسان المحبوبة :(نفسه ،ص16)

وأنا ، لن أكون " أنا " مرّتين

وقد حل أمسِ مكان غدي

وانقسمت إلى امرأتين

فلا أنا شرقيةٌ

ولا أنا غربية ،

ولا أنا زيتونة ظللت آيتين.

وفي سياق تعبير درويش عن فلسفته المتصلة بالحب في قصيدة " كان ينقصنا حاضر " يرى أن الحب حاجة إنسانية ، لكنه لا يقل عن الحاجة للشعور بطمأنينة داخل الوطن ؛ لذلك يصطدم الحب بواقع الغربة وينتهي نهاية لا تليق به ، فيذهب العاشقان نحو طريقين مختلفين ، وتختفي الأنا بين الشاعر ومحبوبته حين يطلب منها أن يكونا طيبين ، لكن المفارقة تكمن في أنه يرى المعية في هذا الذهاب ، وهي معية روحية تتجاوز معية الجسد ، يقول:(درويش ، 2009،ص17)

كان ينقصنا حاضر لنرى

أين نحن . لنذهب كما نحن ،

إنسانة حرةً وصديقا قديما

لنذهب معا في طريقين مختلفين

لنذهب معا ،

ولنكن طيبين.

ولم يبق الشعور بالغربة والاغتراب وحده عائقا أمام الحب وديمومته ؛ إنما يصطدم الحب بظروف أخرى مثل التقلبات التي تتصل بتجارب المحبين ، والمعاناة التي تجعل من الحب ضربا من الغيب ، وتجعل الغيب ضربا من الحب ، لذلك يتعجب درويش كيف يحب من يعرف الحب ، يقول في قصيدة " نمشي على الجسر ": (نفسه ،ص28)

فليكن الحب ضربا من الغيب ، وليكن

الغيب ضربا من الحب . إني عجبتُ

لمن يعرف الحبَّ كيف يحب ! فقد

يتعب الحب فينا من الانتظار ويمرضُ

لكنه لا يقول.

ويحاول الشاعر في غربته ومنفاه أن يعيش مع محبوبته لحظات الحب الحاضرة عبر الانفصال عن الماضي ، والانفكاك من ذكريات الوطن ، لكن هيهات أن يتحقق لهما ذلك ، فالحب أبعد من أن يعيش المحبان اللحظة الحاضرة ، إنما هو مشاركة وجدانية واقتسام للغد والأمس ، يقول في قصيدة " شادنا ظبية توأمان " : (درويش ،2009،ص43،42)

...فنامي

على نفسي نفَسَاً ثانيا قبل أن يفتح

الأمس نافذتي كلّها . ليس لي طائرٌ

وطنيٌّ ، ولا شجرٌ وطنيٌّ ، ولا زهرةٌ

في حديقة منفاكِ. لكنني ـ ونبيذي

يسافر مثلي ـ أقاسمكِ الغدَ والأمس.

ويعبر درويش عن حب صوفي في إحساسه حين ينعم بضمة من محبوبته ؛ حيث يبدو كأنه يحلق ويسبح في عالم متخيل عدمي لا يشبه عالم الواقع ؛ عالم لا موت فيه ولا حياة ، ويبدو مثل طائر عابر فيما وراء الطبيعة ، يقول في القصيدة ذاتها : (درويش ،2009، ص102)

أضمكِ ، حتى أعود إلى عدمي

زائراً زائلا ، لا حياة ولا

موت فيما أحس به

طائرا عابرا ما وراء الطبيعة

حين أضمك.

وللحب في المنفى مفهوم آخر بين الشاعر وغريبته ، ولعل درويشا يرى في الوطن شرطا من شروط الحب بمفهومه الإنساني ، الذي يحدث في شروط طبيعية ، ولا ينبني على الإحساس بالفقدان والحرمان ، ففي قصيدة " من أنا من دون منفى ؟ " التي تقوم في مضمونها على استفهام ساخر ، ويعبر فيها عن حالة الحب التي تجمعه بمحبوبته في المنفى ، وهما بعيدان عن وطنيهما ، فيبدوان خفيفين مثل منازلهما البعيدة ، بعد أن أصبحت مكانا للغرباء الذين حلوا محلهم ، صديقين للكائنات الغريبة بين الغيوم ، طليقين من التزامات الانتماء للوطن والهوية ؛ فالخفة توحي بحالة عدم الثبات التي يحيانها ، وصداقة الكائنات الغريبة تشي بعدم تحقق الانسجام مع فضاء المنفى التي تنعكس على حبهما ، أما تحللهما من التزامات الانتماء للوطن والهوية فتعبر عن خلل في نجاح الحب وثباته . يقول : (درويش ،2009،ص113،114)

...صرنا خفيفين مثل منازلنا

في الرياح البعيدة . صرنا صديقين للكائنات

الغريبة بين الغيوم ...صرنا طليقين من

جاذبية أرض الهوية. ماذا سنفعل ... ماذا

سنفعل من دون منفى ، وليل طويل

يحدّق في الماء ؟

وفي حوارية الحب ، يقابل صوت العاشق بصوت المعشوقة ، وهنا يقدم درويش رؤية امرأته من الحب ، وموقفها منه ، ودورها ودور الطرف الآخر فيه ؛ فهي تريده أن يكون قيسا في حبه ، وتريد أن تكون هي هي ؛ على طبيعتها ، أنثى حقيقية ؛ لا صورة ملونة في الجريدة ، أو فكرة ملحنة في القصيدة ، يقول في قصيدة " لا أقل ولا أكثر " (درويش ، 2009 ،ص62)

أنا امرأة لا أقلَّ ولا أكثرَ

فكن أنتَ قيس الحنين ،

إذا شئتَ . أمّا أنا

فيعجبني أن أحبَّ كما أنا

لا صورةً

ملونَّة في الجريدة ، أو فكرةً

ملحَّنةً في القصيدة بين الأيائل ..

وتطلب المحبوبة من حبيبها أن يؤدي دور الأم ليخفف عنها أوجاع الغربة والإحساس بالاغتراب بعيدا عن وطنها الذي فقدت بفقدانه الأم التي كانت تخضب شعرها بالحناء ، والأخت التي تضفره ، من هنا ، تصبح مسؤولية المحب في الغربة مختلفا عن المحب في الوطن ، حيث يعوضها عن السكن الذي فقدته بفقدان وطنها في أوطان تبدو حيادية تظللها سماء رمادية ، كما يعوضها عن الحنان الذي فقدته بفقدان أهلها ، يقول في قصيدة " أغنية زفاف " على لسان المحبوبة : (نفسه ،ص66)

من أنا خلف

سور المدينة ؟ لا أمَّ تعجن شعري

الطويل بحنائها الأبدي ، ولا أختَ

تضفِرُه . من أنا خارج السور بين

حقول حيادية وسماء رمادية .فلتكن

أنت أميَ في بلد الغرباء . وخذني

برفق إلى من أكون غدا.

وفي حوارية الحب يلج درويش إلى أعماق امرأته ويعبر عن فلسفة الحب من وجهة نظر المرأة ، التي يتغذى حبها على المشاركة الوجدانية والتواصل اللفظي ؛ فهي تريده أن يثبت حبه في مشاركتها ما يتفاعل في عقله من مشاعر الحب ، كما تريد منه أن يكون يوسفي الهوى ؛ يكشف عما يخفيه في قلبه ، ويحققنها بكلمات بسيطة ، وعبارات تشعرها

بأنوثتها ، وفي ذلك يجد الباحث أن فلسفة الحب لدى درويش ذات دلالات إيروسية ؛ إذ تجسد النداء الفطري الإنساني فيسعى أن يصف حالة سكون المرأة إلى الرجل ، والرجل إلى المرأة في حالة شعرية فريدة ومتجددة ، تثير التفكير في قدرة الرجل على التقرب إلى المرأة دون الخشية من الإحساس بالذنب والخطيئة ، (الدويري ، 2008، ص 124) يقول في قصيدة " طائران غريبان في ريشنا " : (درويش ،2009، ص76.75)

... وقل لي

في م تفكر . قل لي ما مرَّ

في بال يوسف . قل لي بعض الكلام

البسيط ... الكلام الذي تشتهي امرأةٌ

أن يقال لها دائما . لا أريد العبارةَ

كاملة . أكتفي بالإشارة تنثرني في مهب

الفراشات بين ينابيع الشمس . قل لي

إني ضرورية لك كالنوم ، لا لامتلاء

الطبيعة بالماء حولي وحولك ، وابسط

عليّ جناحا من الأزرق اللانهائيّ ..

والحب من وجهة نظر المحبوبة رمز للحياة ، فهو رزق لا يقل عن الخبز ، والشاعر هنا ، يتناص مع حديث الرسول عليه السلام في حب عائشة ، حين قال في وصف حبه لها :" رزقت حبها " ؛ كما أن دعوة المحبوبة تتكرر في غير قصيدة لمحبوبها أن يعوضها في الغربة عن أمها ، وأبيها ، ويكون إضافة لكونه حبيبها ، بمثابة الأخ والصاحب ، ويغمرها بالسلام ، ويحرس بحبه أحلامها ، بقول في قصيدة " رزق الطيور " (درويش ،2009، ص90.88)

رزقت مع الخبز حبكْ

ولا شأن لي بمصيريَ ،

ما دام قربَكْ

...

رزقتكَ أما ، أبا صاحباً

وأخا للطريق ..

...

فكن يا غريبُ سلامَ

الغريبة في هدنة المتعبين

وكن حلمَ يقظتها ، كلما

ألمَّ بها قمر عائد من أريحا ..

ومع كل الحب الذي يعبر عنه درويش على لسانه لغريبته ؛ إلا أنه يرى أن الحب في هذا الزمن لا يشبه حب العذريين الذين كانوا يتحملون تبعات الحب من الوحدة والوقوف على الأطلال ، ويدفعون حياتهم ثمنا لحبهم ؛ وقد رأى أن سبب ذلك يعود إلى متطلبات الحياة ومساراتها وخياراتها التي تجعل المحبين في حالة إعادة للنظر في توجهاتهم ، يقول في قصيدة " ربما لأن الشتاء تأخر " : (درويش ،2009،ص99)

أمثالنا لا يموتون حباً ،

ولو مرةً ، في الغناء الحديث الخفيف

ولا يقفون ، وحيدِين ، فوق الرصيف

لأن القطارات أكثرُ من عدد المفردات

وفي وسعنا دائماً أن نعيد النظرْ.

وتأخذ حوارية الحب في ديوان " سرير الغريبة " اتجاها قناعيا وإسقاطيا ، حين يستوحي درويش شخصية كل من جميل بثينة ومجنون ليلى ، ويحاورهما ليسقط رؤيته وفلسفته المتصلة بالحب ؛ ففي قصيدة " أنا ، وجميل بثينة " يعبر في حواره مع جميل العاشق عن دور الزمن في التأثير على ملامحنا في صقلنا ثم قتلنا بعد أن يفرض علينا عقلنة مشاعر الحب ، وقد أحس الشاعر بذلك بعد أن بلغ من العمر عتيا ، يقول : (نفسه ،116)

هو الوقت يفعل ما تفعل الشمس

والريح : يصقلنا ثم يقتلنا حينما

يحمل العقل عاطفة القلب ، أو

عندما يبلغ القلب حكمته

ويسأل درويش جميلا عن تأثير الزمن على بثينة ، فهل تكبر مثلهما ؟ فيجيب جميل على لسان درويش أنها تكبر في نظر الآخرين ، أو إذا نظر إليها من منظور يبعد عن قلبه ، لكنها بعيني قلبه تبقى غزالة ناضرة تتدفق منها ملامح الحياة ، يقول : (نفسه ،116-117)

يا جميل ! أتكبر مثلك ، مثلي ،

بثينة ؟

تكبر يا صاحبي ، خارج القلب

في نظر الآخرين ، وفي داخلي تستحم

الغزالة في نبعها المتدفق من ذاتها .

ويواصل درويش في القصيدة ذاتها حواره مع جميل ليعبر عن مفهومه للحب بصورة عامة ، المتصل بحبه لبثينة بصورة خاصة ، وعلاقته بها ، فيسأله عن حقيقة حبها له ؛ إن كان حبا لشخصه أم حبا لشعره فيها ، وهو بذلك يشي بطبيعة المرأة وتكوينها ، في أنها تميل وتتبصر بالشاعر الذي يحول مشاعره إلى شعر ، ويحسن التغزل بأنوثتها ، لتظهر دلالها وتمنعها الأنثوي ، يقول : (نفسه ،117)

هل أحبتك ؟ أم أعجبتها استعارتها

في أغانيك ، لؤلؤة كلما حدقت في

لياليك واغرورقت .. وأشرقت قمرا قلبه

حجر يا جميل ؟

وفي قصيدة "قناع ...لمجنون ليلى " يستخدم أسلوب القناع ، الذي يمكنه من أن يقف خلف شخصية قيس بن الملوح ، الشاعر الذي حول مشاعر الحب والشوق لليلى إلى أشعار تشي بعمق علاقته ، وفي القصيدة نجد درويشا يسترجع واحدة من تجارب الحب التي عاشها قبل سن الثلاثين ؛ حين بدا مريضا بحب ليلاه ، معتقدا أن الكلمات هي

حدود الوجود ، متعلقا بها روحا لا جسدا ، ويرى روحها تنبض في كل شيء ، هذا الحب الذي بدا صوفيا راح يحلق به في مدار الكواكب ونزعه من ذاته وحياته ، ويجعله متحدا بليلاه إلى حد الانصهار ، يقول : (نفسه ،121-122)

وجدت قناعا ، فأعجبني أن

أكون آخري . كنت دون

الثلاثين ، أحسب أن حدود

الوجود هي الكلمات . وكنت

مريضا بليلى كأيّ فتى شع

في دمه الملح . إن لم تكن هي

موجودة جسدا فلها صورة الروح

في كل شيء . تقربني من

مدار الكواكب . تبعدني عن حياتي

على الأرض . لا هي موت ولا

هي ليلى " أنا هو أنتِ ،

فلا بد من عدم أزرق للعناق

النهائي ".

الخاتمة :

وهكذا ، لم يعد حضور المرأة في ديوان " سرير الغريبة " حضورا رمزيا ، بل حاور درويش فيه امرأة حقيقية ، من هنا ، حاول الباحث أن يستنطق النصوص الشعرية في الديوان ، ووقف على تلك النصوص التي اتخذت من الحوار الداخلي والخارجي تقنية في التعبير عن الحب بين الشاعر من جهة ومحبوبته من جهة أخرى ؛ فجاء الحوار في مضمونه يعبر عن رؤية الشاعر وفلسفته تجاه الحب ، على لسانه تارة ، ولسان غريبته تارة أخرى .

وقد بدا الحب في قصائد الديوان حاجة فطرية وإنسانية ؛ وبدا صوفيا تارة ، وأسطوريا تارة أخرى ؛ لكنه كان يصطدم بحقيقة الغربة والحنين للماضي المتمثل بالوطن ؛ ولعل درويش قد أراد أن يقول : إن الحب يظل منقوصا إذا لم يكن بشروط الوطن ؛ وصحيح أن درويشا يعبر بذلك عن مشاعر تبدو في

ظاهرها ذاتية تتصل بالحب ، لكنه يشير بالتوازي مع ذلك إلى قضيته الأساسية وهي قضية الحرمان من وطنه ، فيبدو الوطن لديه مظلة لكل حب .

<u>المصادر والمراجع :</u>

1.إشتية ،معاذ (2012) ***مكونات الإبداع الفني في أعمال درويش الأخيرة من سنة (1995،2009م)*** رسالة دكتوراه ، الأردن ، جامعة اليرموك .

2. البارز ، حازم فاضل محمد.(2015م) ***أسلوب الحوار في النص الشعري*** الحديث ، ، العلوم الإنسانية ، المجلد 23، العدد 4،العراق ، مجلة جامعة بابل .

3. خميس ، ظبية.(1999م)"***قراءة نقدية في ديوان سرير الغريبة*** " مجلة العربي ، آداب ، العدد 493، ديسمبر.

4.درويش ، محمود.(2009م) ***سرير الغريبة*** ، ط3 ، بيروت ،دار رياض الريس للكتب والنشر.

5. الدويري ، أكرم(2008 م) ***مخيلة درويش الشعرية*** ، رسالة دكتوراة ، الأردن ، جامعة اليرموك

6. العوني ، شمس الدين : ***محمود درويش : القضية الفلسطينية في مهمة شعرية*** ، موقع تورس :
https://www.turess.com/echaab/872

7.محمد ، عيشة إبراهيم(2022) ***البنية الحوارية في شعر بشرى البستاني*** ، (قصيدة مخاطبات حواء أ نموذجا) ، ، مجلد 18 ، العدد 1، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية.

8. منيف ، عبدالرحمن(2014) ***آليات الحوارية وتمظهراتها في خماسية*** " مدن الملح " وثلاثية " أرض السواد " ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع .

9. المهداوي ، صفاء عبدالفتاح محمد(2010) ***الأنا في شعر محمود درويش*** ، دراسة فنية سسيوثقافية في دواوينه من 1995-2008 ، رسالة ماجستير ، الأردن، جامعة اليرموك .

10. فحماوي ، عايدة خليل(2013) ***في حضرة غيابه*** ، تحولات " قصيدة الهوية " في شعر محمود درويش ، مكتبة كل شيء ، حيفا ،